

رسائل من ضحايا مجهولة

الضحية الأولى

"نص من الرسالة"

عزيزي

منذ ستة أشهر تحديداً قبل عيد ميلادك بثمان ايام كتب لي طبيبي النفسي دواء ذات حبوب زرقاء نفس لون قميصك المفضل ذو الزائر البيضاء قال لي أن ذلك الدواء سيساعدني على نسيانك والتغلب على ذكرياتنا معاً، طلب مني ان اخذه مرتين يومياً، مرة في التاسعة صباحاً الوقت الذي تكون قد استيقظت فيه وتستعد لمغادرة المنزل والحبة الثانية في الرابعة عصراً والذي تكون فيه غائص في قيلولتك منذ خمس وعشرين دقيقة تماماً

اشعر بان الدواء يعمل بشكل جيد، ذلك ان اول أمس نسيت انه قد مر اربع اعوام على اليوم الذي تمشينا فيه تحت المطر وانزلت قدمي ووقعت أرضاً واخذت تضحك عليّ قبل ان تنزلق قدمك بعدها ببضع ثوانٍ وتسقط بجانبني

مؤخراً قام الطبيب بمضاعفة جرعة الدواء، رغم محاولات اقناعي له بأنني قد نسيتك تماماً إلا فقط عندما اراك صدفأ امام البناية التي اسكن فيها او قريباً من مكان عملي، واحياناً المحك تشرب القهوة في المكان الذي اعتدنا فيه ان نشربها معاً، واحياناً اخري تشتري بعض الاغراض من محل البقالة في الشارع المجاور

تأكدتُ بأنك تراقبني، تتبعني في كل مكان اذهب إليه، كنت متيقنةً بأنك ما زلت تحبني مثلما احبك تماماً وبأن غيابك المفاجئ دون وداع كان لسبب ما، اخبرت الطبيب بذلك؛ بدي عليه الاستياء، اخبرته بأنني قررت التوقف عن اخذ الدواء وبأنني حينما اراك المرة القادمة سأطلب منك ان نعود معاً ثانيةً، سأخبرك بأنني ما زلت احبك، سأسألك عن سر رحيلك المفاجئ دون حتى أن تودعني سأبكي بين ذراعيك وسأسامحك على غيابك

تخيل عزيزي نصحني الطبيب ان اتجاهلك في كل مرة اراك فيها، أصر ان انتظم على الدواء، صرخت في وجهه، قلت بان لا شأن له بقراري، وبأنني عدلت عن قرار نسيانك وقررت ان اسامحك! اللعنة على هؤلاء الاطباء لا يهتمهم غير عملهم حتى لو على حساب سعادة مرضاهم

توقفت عن اخذت الدواء وامتنعت عن زيارة ذلك الطبيب الحقود

لكن يا عزيزي منذ ذلك الحين، لا اعلم لماذا اختفيت ثانيةً، ما زلت ابحث عنك امام البناية، قريباً من مكان عملي، في المكان الذي اعتدنا ان نشرب فيه القهوة معاً، وفي بقالة في الشارع المجاور لأطلب منك ان نعود معاً ثانيةً، لأخبرك بأنني ما زلت احبك، لأسألك عن سر رحيلك المفاجئ، وابكي بين ذراعيك، لأسامحك، اقسم انني سأفعل

انتظرتك طويلاً، طويلاً جداً عزيزي

لكنك لم تأتِ

"رسالة من امرأة فقدت حبيبها وقلبها في الحرب"

رسائل من ضحايا مجهولة  
الضحية الثانية

"نصّ من الرسالة"

عزيزي ..

اعلم انك لست بخير وانا كذلك ، كلانا ممتلأ بخيبات الأمل ، الحزن ، و الغضب إن صح القول ، أتدري ما المشكلة عزيزي ، اننا لطالما جرفتنا أحلامنا إلي عالم مثالي أكثر من اللازم وأكبر من الواقع ، "نحن لسنا كالآخرين" تقول لي ، اخبرك بأننا أذكاء بما يكفي لتنفادي كل الأخطاء التي يقع فيها غيرنا ، اخالك ذلك الفارس الذي أتاني بالحصان الأبيض لينشلني من بؤس العالم ، يحبني ذلك الحب الذي لا يوجد إلا في الأساطير القديمة ، و تخالني تلك الفتاة الملائكية خالية العيوب التي تستطيع بابتسامتها فقط ان تداوي كل احزانك

جرفتنا الاحلام رويداً رويداً ، حتي أغرقنا

وحينما أفقنا أدركنا بأن تلك الحياة ليست وردية كما كنا نظن، وبأننا لسنا مثاليين وحتى وإن حاولنا التظاهر بذلك، لا انت الفارس الذي سينشلني من بؤس العالم ولا انا تلك الفتاة الملائكية التي تداوي كل احزانك بابتسامتها

وبرغم هذا .ما زلت اعتقد بأننا لسنا كالآخرين، وبأننا أذكاء بما فيه الكفاية لتنفادي كل الأخطاء التي يقع فيها غيرنا .

فقط مزيدٌ من الصبر و التمسك و الرضا..

رسائل من ضحايا مجهولة

الضحية الثالثة

نصّ من الرسالة

والدي العزيز ان لا اعلم هل علي ان ألومكما أم يتوجب عليّ عُذركما"

صحيحٌ بأنكما زرعتان بداخلي الشجاعةَ وربيتما علي أن الخوف عارٌ، فبِت أكره الجباء واستحقَر جُبْنهم، أخبرتماني بأن الساكتَ عن الحق شيطانٌ اخرس، فكبرتُ وانا أمقتُ أصحابَ الفم المغلق، لكنني عندما شرعتُ بفتح فمي صرختما في وجهي، وأمرتاني بأغلاقه، وعندما حاولت الاعتراض علي الباطل منعتماني خوفاً عليّ من مخالِب أصحابه

فزادَ الجبناءً واحداً وزادَ اصاحبُ الفم المغلق شيطاناً اخرساً جديداً، فلم اعد اعلم وقد اصبحت واحد منهم أكان عليّ لومهم أم كان يتوجب عليّ عُذركم؟

رسائل من ضحايا مجهولة

الضحية الرابعة

"نص من الرسالة"

انا أمتلك ذاكرة لا تزيد قدراتها عن ذاكرة سمكة صغيرة، ما يكفي لأتذكر جيداً كم ملعقة من السكر اضع على قهوتي، لكنني دائماً ... ما انسي ان اشربها

دائماً ما انسي اين وضعت مفاتيح شقتنا، لينتهي بي الحال واقفة خلف الباب انتظر أحد اخوتي الي ان يأتي ليفتحه لي، لا اتذكر متي كان موعد محاضرة السبت، قبل ان اكتشف ان يوم السبت هو يوم عطلةتي الوحيد

كثيراً ما تختلط علي الأيام، الأسماء، حتى الفصول، لكن ما البث ان انظر الي ملابسني لأتذكر اننا ما زلنا في فصل الشتاء

لكن اتعلم امراً

برغم كل ذلك عزيزي

فانا ما زلت اتذكر تاريخ لقاءنا الأول، تفاصيله، لون القميص الذي كنت ترتديه، وكم ملعقة من السكر وضعت في قهوتك، الي تفاصيل ملامحك التي حاولت ان ارسمها كثيراً بعد ذلك اليوم

كم تمنيت ان انساك مع كل تلك الأشياء التي تُنسي لكنني فشلت في ذلك

وكان ذاكرتي تختزل قدراتها حتى تظل عالقة بها الي الأبد

رسائل من ضحايا مجهولة

الضحية الخامسة

نص من الرسالة

طوال حياتي وأنا أؤمن بأن لا شيء يحدث من العدم ، توهمت بأن لقائنا لم يكن مجرد لقاء عابراً ، وبأن من زرع حُبك بقلبي لم يكن ليُميئته

ظننت بأنني حينما أعتني بذلك الحب التي وضعه الله في قلبي لك، فإنه سينمو إلى ان احتمي بظله، لكنني كلما سقيته كانت تجرحني اشواكه، وكلما ازداد نموه كان يضيق قلبي أكثر حتى انه لم يعد يحتمل ثقله

ومع الوقت اكتشفت بأن حُبك بداخلي لم يُزرع بل كان مجرد زرعاً شيطانياً خبيثاً اتخذ من قلبي ملجأ له وتغذي عليه

أدركت بأن الأشياء وان لم تأتي من العدم إلا انها ليست من الضرورة ألا تذهب إليه، حينها اقتلعت ذلك الحب من جذوره وألقيت به إلي حيث من المفترض به ان ينتمي .... إلي العدم

رسائل من ضحايا مجهولة

الضحية السادسة

"نص من الرسالة"

لو كنت أعلم أنك سترحل يومها، كنت سأقفل كل الأبواب بأقفال لا تُفتح، أكسر جميع المفاتيح، أغلق كل النوافذ والشرفات، كنت سأخفي كل احذيتك وجواربك وحتى ساعة يدك الفضية التي لا تخرج بدونها، لو كنت أعلم أنك سترحل يومها، كنت سأمنعك بكل الوسائل الممكنة؛ اتوسل إليك، اصرخ في وجهك، اهددك، أقيدك، وإذا لم يجدي كل ذلك نفعاً، كنت سأبلغ كل أقسام الشرطة عن لص هارب واعطيهم صورة واضحة لك، بعد طباعتها وتوزيعها على المارة بمكافأة نقدية لمن يعثر عليك ولكن عزيزي كل تلك المحاولات كانت ستبوء بالفشل هي الأخرى؛ لم أكن لأمنعك بتوسلي لك، بصراخي في وجهك بتهديدي لك أو حتى بتقيدك

لن تحتاج الشرطة لصورة لك ولن يحصل أحدهم على مكافأة لأنهم لن يعثروا عليك عزيزي فعند رحيلك لم تحتاج للمفاتيح لفتح الأقفال، ولم تبحث عن حذاءك لترتيبه حتى ساعة يدك الفضية تركتها هنالك على المنضدة اعتقد بأنك لم تعد تحتاجها بعد الآن عزيزي فلا يوجد وقت عندك لتحسبه

عزيزتي  
كيف حالك الآن ؟

اعلم أن شهر يونيو لم يكن شهراً لطيفاً عليك ، مضى مظلماً وكنيباً ، بكيت فيه كثيراً حتي لم يعد بوسع مساحيق التجميل إخفاء تلك الهالات تحت عينك ، حتي انك لم تكتري بإخفائها ، بالنسبة للبعض لم يكن بالشئ الكبير الذي يستحق كل هذا الحزن ، لكن لفتاة حساسة مثلك ، كان الأمر مؤلماً .

"متفقيش كُتر المواقف هتخن جلدك "  
"خلي دموعك غالية ماتنزلش بسهولة "  
"حبييتي الوقعة اللي مابتموتش بتقوي "

تقولين:

لكنني لا اريد أن أقوي ، لا أريد ان يسمك جلدي ، أخشي حينها أن يقسو قلبي ، أن تتبلد مشاعري ، أن تكبر تلك الطفلة بداخلي ؛ فيشيب فوادي قبل ان يشيب شعر رأسي .

عزيزتي..

في كل مرة كانت تنهمر فيها دموعك رغماً عنك ، تقومين بنهر الطفلة بداخلك ، تصرخين بها ان تتوقف عن البكاء ، و بمجرد ان تهدئي تعتذرين لها ، ترحوها ان تظل كما هي ،تتوسلين لها ألا تنضج ، ان تظل تبكي عندما تحزن ، تصرخ عندما تغضب ، ترقص من شدة الفرح ، و تعشق كفتاة لم تزل في الخامسة عشر من عمرها.

عزيزتي أنا..

أبقي كما انت أرجوك ، لا تدعي الأيام تغير منك شيء ، ولا تسمح للطفلة بداخلك ان تكبر أبداً

عزيزي..

طوال فترة مراهقتي وأنا اعتقد بأن اللون الأزرق هو لوني المفضل ، لا أتذكر سر هذا الاعتقاد غير انه كان مرتبط في ذهني بالغموض ، ولأنني في ذلك الحين كان يُثيرني كل ما هو غامض ، ظننت بأن الأزرق هو لوني المفضل ، وعندما كان يسألني أحدهم عن لوني اجيب بلا تردد "الأزرق بكل تأكيد."

عندنا كبرت قليلاً لاحظت بأنه ليس أول اختياراتي ، لا امتلك في خزانتي ثوباً باللون الأزرق ، ليس من ضمن كل تلك الفناجين التي حرصت علي اقتنائها بعناية واحداً واحداً فنجاناً باللون الأزرق ؛ و لا حتي دفترأ ، و عندما تمعنث بالأمر قليلاً ؛ لاحظت أمراً أثار دهشتي ؛كانت معظم ثيابي ،فناجيني حتي دفاتري باللون الأبيض ،الأمر الذي لم ألاحظه من قبل ،اكتشفت بأنني مهوسة بهذا اللون ، وبأنني طوال تلك المدة موهومة بحب لون لا أحبه .

لطالما كان حبي للون الأزرق نابعاً من صوت عقلي في حين كان هوسي باللون الأبيض نابعاً في صميم صميم قلبي . وفي الوقت الذي كنت أظنني مغرمةً بالأزرق كنت فقط استمع إلي الصوت الخاطئ اعتقاداً مني بأن العقل لا يخدع أبداً.

عزيزي..

مثلما يمكن للقلب أن يعمينا عن الحقيقة أحياناً ،كذلك يمكن للعقل أيضاً.

ملحوظة : أحبك أكثر من اللون الأبيض.

عزيزي

ها قد مضى نصف العام؛ ستة أشهر مليئة بالأحداث والدروس القاسية

لا أخفي عليك سرّاً عزيزي فقد كانت تلك الفترة من أصعب أيامي وأثقلها

نزفت قلبي كثيراً، وودع من كان يحسب أنه لا يقوي على فراقهم. وقوي!

وبين الحين والآخر كان يهينني الله أياماً تهب علي كالنسيم فتخفف من وهج ما بي

صادفت في طريقي من ألفت بهم نفسي وكما تعلم فأنا متحفظة وحذرة للغاية في اختيار من أدخلهم حياتي لكنني من داخلي أشعرُ بأنهم جديرين بتلك الثقة فأضفتهم إلي ركن الأصدقاء في قلبي...

تمضي الأيام عزيزي

ومع كل يوم يتأكد لي بأن الحياة رمادية اللون مزيج بين الأبيض والأسود، بين الخير والشر، بين الحقيقة والخيال، وما بين كل شيء وتضاده؛ ها نحن هناك نعيش في المنتصف !

مضي ستة أشهر

وما زال كتف صديقتي يتحمل ثقل كتفي كلما اتكأت عليه

عزيزي

مرت بضعة أسابيع علي عيد مولدي، ها أنا أكملت الرابعة والعشرين، لا أخفي عليك سرّاً عزيزي فقد بدأت أخشى أشياء لم أكن أعلم في السابق أن بإمكانها إثارة فزع المرء لذلك الحد، أولهم البشر

لا أستطيع أن أجزم بأنني نضجت عن ذي قبل لكنني أجزم أن مفاهيماً كثيرة قد أعيدت صياغتها، وأناس أعيد ترتيب أماكنهم. ذلك الذي كان له دور في إعادة تشكّل شخصيتي وأفكاري، غير أنني عزيزي لم أكن أرغب في ذلك، لكن لا باليد حيلة

... الأبيض هو المفضل عندي في الألوان، والرمادي المفضل في اختياراتي في الحياة، وأنت يا عزيزي المفضل في كل شيء

لم تتغير أحلامي كثيراً، ما زلت أريد بيتاً صغيراً في "دهب" تطل شرفته علي البحر ويحيطه الجبال من كل جانب؛ وحلم آخر .... سأطلعك عليه فيما بعد

لم تتغير عيوبي كثيراً هي الأخرى، مازالت شخصيتي حساسة جداً، أبكي سريعاً، أنفعل سريعاً، أحكم على الأشياء سريعاً لكن ...سرعان ما أكتشف أنني مجرد حمقاء متسرة لم تنضج كفاية بعد لتتمهل في حكمها على الأشياء والأشخاص

عزيزي عندما أطفأت شمع عيد ميلادي تمنيت أن أمتلك بيتاً صغيراً في دهب تطل شرفته علي البحر ويحيطه الجبال من كل ..... جانب وأمنية أخرى سأطلعك عليها فيما بعد

عزيزي

لو أنك تعلم أن اهتمامك بتفاصيلي الصغيرة يؤثرني أكثر من قولك أحبك ألف مرة ومرة، وان إهدائي وردةً بلوني المفضل أو نوع الشكولاتة التي أحبها مع رسالة مكتوبة بخط يديك أحب إلى قلبي من أثنى هدايا العالم

لو أنك تعلم عزيزي بأنني لا أحتاج منك سوي السكينة، ان يتحمل كتفك ثقل رأسي حينما اتكئ عليه، وان تطمئنني في كل مرة يستولي فيها عليّ الشك، أن تتقبل حساسيتي الزائدة وثوراتي غير المبررة وجنوني أحياناً بقدر حُبك لطبعتي ولطفي

لو أنك يا عزيزي تعلم كيف انني اخاف الخذلان بقدر خوفي من الموت غرقاً، وأكره التجاهل أكثر من كرهني لحر الصيف

فاذا اردت ان تذهب بحبك إليّ العدم فعليك بهما

عزيزي أما بعد

أحبك إلى أن يفني العالم أو إلى أن يقل حبي بداخلك.

عزيزي

مُر اسبوعان على بداية العام الجديد

لا شيء تغير عن العام الماضي، الوجوه، الأصوات، الأحاديث المعتادة المملة، كل شيء كما هو، باستثناء رائحة كعك البرتقال والسحلب التي تحتضن ارجاء بيتنا تلك الأيام من العام

شاهد برنامجاً تلفزيونياً مساء أمس، استضيفت فيه امرأة في منتصف الخمسين من عمرها، يسود البياض شعر رأسها تدعي بأنها خبيرة في علم الفلك، أكدت بأن ذلك العام سيكون مليئاً بالمفاجآت والأخبار السارة، وعلى الرغم من انني لا أحب الأرقام الفردية وبالتأكيد انا لا أؤمن بتلك الخزعات إلا انني تمنيت من قلبي ان تكون صادقة، دعيت الله أن تكون كل المفاجآت. والأخبار السارة في ذلك العام مرتبطة بك ومعك

....

تعلم انني لست مُلمة بأجواء الطقس ولا شغوفة بها، لكنني اعتقد بأن السماء قد اصابها خلل ما تلك الأيام، تخيل بأنه قد مر أكثر من اسبوعين على بداية فصل الشتاء ولم تمطرُ فيها ولا حتى بضع قطرات، ساد الجو كذلك شيء ما يشبه الضباب أو الدخان يسمونه "الشبورة" على ما أذكر، أظن بأن السماء غاضبةٌ منا لسبب ما

....

أول أمس تفحصت رأسي في المرآة لأتأكد بأن خصلات شعري لم يزرها البياض بعد، وعلى الرغم أنني ما زلت في بداية العشرين من عمري إلا ان شعور الكبر يتسللني في كل مرة تغيب فيها عني وترحل

.....

كم اشتاق إليك كثيراً عزيزي، ذلك الشوق الذي لا تقدر الكلمات على وصفه، والعن كل تلك الحواجز والمسافات بيننا لعناتُ ان وصلت إلى السماء غلبت الجمرات في حرارتها

وإلي نلتقي سأظل استحضرك في كل مرة تغني فيها أم كلثوم " بعيد عنك حياتي عذاب، حياتك إيه بعيد عني " وانتظر ردك الذي لا يأتي

١

افتح عيني، أنتهد بعمق، للمرة المائة بعد الألف انسي اغلاق ستارة النافذة قبل ان انام؛ استيقظ على اشعة الشمس وقد اخترقت مسامات جلدي دون استئذان، لا اتذمر فأنا المخطئة هنا، انا من سمحت لها بذلك

٢

اتفحص الأشياء من حولي، اتأكد من انها لم تتحرك من مكانها  
لم يبهت لونها او تتغير هيأتها، او تتمرد على حالها، كما هي تماماً كما تركتها ليلة أمس احسدها على ثباتها، وأشفق عليها في أن واحد

٣

ما زلت مستلقية على فراشي، استمع إلى ضربات قلبي  
مسكين هذا القلب! اثنان وعشرون عاماً من النبض المستمر  
ثلاث وسبعون نبضة كل دقيقة، وطوال هذه المدة لم يرتح لثانية واحدة، تري لهذا يؤلمني بين الحين والآخر؟

٤

لا أقوى على النهوض من الفراش، خارج هذه الغرفة وحيث اعبر حدود راحتي، اشعر باللائتاء، شعور يشبه زرقعة البحر  
وقت عاصفة شتوية، او كقطة فقدت ونيسها ولا تتذكر طريقاً للعودة، اتغلب على ذلك الشعور احياناً، ويتملكني احياناً أخرى

٥

اقوم من فراشي اخيراً، افتح النافذة على مصرعيها، يهب نسيم بارد يداعب وجهي، اذكر بانه اول نهار من ديسمبر الحبيب،  
يا الله كم احب هذا الشهر، ابحت عن الشمس فأجدها مختبأ وراء حزمة من الغيوم الرمادية، وبرغم برودة الجو، شعور بالدفء يغمري

٦

هناك اشياء برغم بساطتها مازالت قادرة على اغماري بالطمأنينة "الغيوم، القهوة، وحضن جدتي، وتواشيح النقشبندي" وإذا  
ما اجتمع الأربعة معاً فإن باستطاعتهم اعطائي ما لا يقدر الهيروين على اعطائه لمدمنيه من سعادة غامرة

7

أؤمن بأن الحياة قاسية، ويقدر قسوتها فإن للأشياء البسيطة قدسية \_ بقدر لطفها \_ تلتطف من هذه القسوة ما استطاعت، كرواية  
جميلة، او بخور برائحة تحبها، كقهوة في فنجانك المفضل، او اغنية تذكرك بشخص ما، الشروق وصوت ارتطام الأمواج  
ونسيم الفجر، ومن لطف الله بنا انه منحنا جميعاً كل تلك الأشياء الجميلة بلا مقابل !

8

انتبه الي صوت النقشبندي الآتي من راديو القهوة أسفل النافذة "مولاي قد عظمت ذنوبي كثرة ولقد علمت بأن عفوك أعظم ...  
ان كان لا يرجوك الا محسن فمن الذي يدعوا ويرجوا الاثم ؟ !..

ما عاد ينقصني الآن سوي فنجان قهوة وحضن جدتي لتكتمل سعادتي

